سليمان بن صالح الخراشي

حَواصِلُ طَير

وفيه الإجابة عن:

أين مُستقر الأرواح بعد الموت؟

هل ينتفع الأموات بعَمل الأحياء؟

وأسئلة أخرى ..

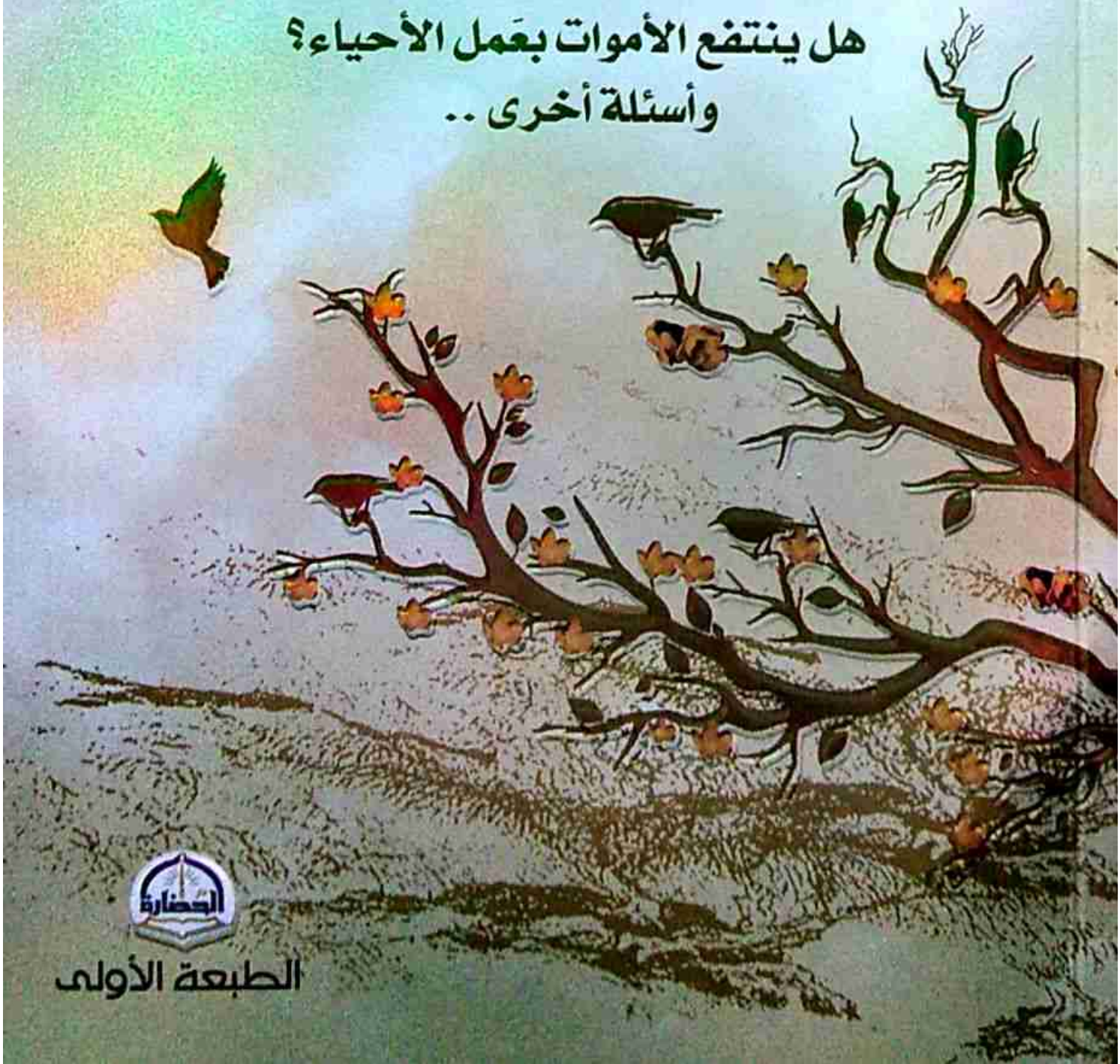

الحضارة

الطبعة الأولى

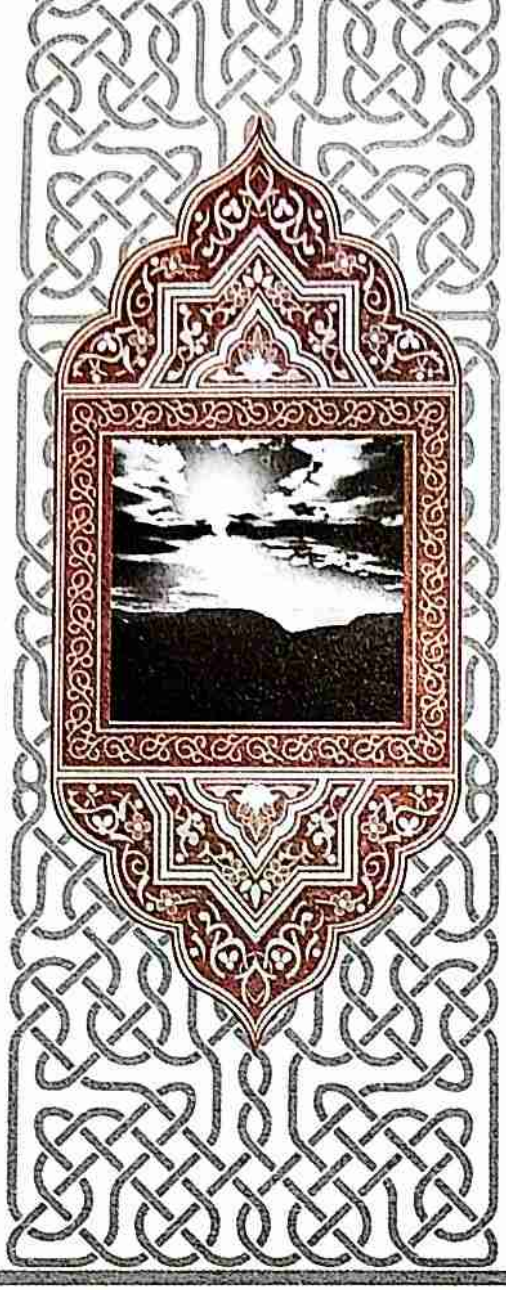

سليمان بن صالح الخراشي

حَواصِلُ طَير

وفيه الإجابة عن:
أين مُستقر الأرواح بعد الموت؟
هل ينتفع الأموات بعَمل الأحياء؟
وأسئلة أخرى ..

ح دار الحضارة للنشر و التوزيع، ١٤٤٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الخراشي، سليمان بن صالح إبراهيم
حواصل طير (وفيه الإجابة عن أين مستقر الأرواح بعد الموت هل ينتفع الأموات بعمل الأحياء وأسئلة أخرى: سليمان بن صالح إبراهيم الخراشي - ط ١. - الرياض ١٤٤٣هـ
ص ١٠٠؛ ١٤×٢٠سم
ردمك: ٦-٤٤-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨
١- الروح ٢- الموت ٣- الحياة الأخرى أ- العنوان
ديوي ٢٤٣ ١٤٤٢/١١٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٣/١١٦٩
ردمك: ٦-٤٤-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

تصميم و إخراج مصطفى
0500594538
Mustafa-h123 @hotmail.com

دار الحضارة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
daralhadarah@hotmail.com
الرقم الموحد: 920000908 الفاكس: 2702719 - 011
0551523173 @daralhadarah
زوروا متجر الحضارة
daralhadarah.net

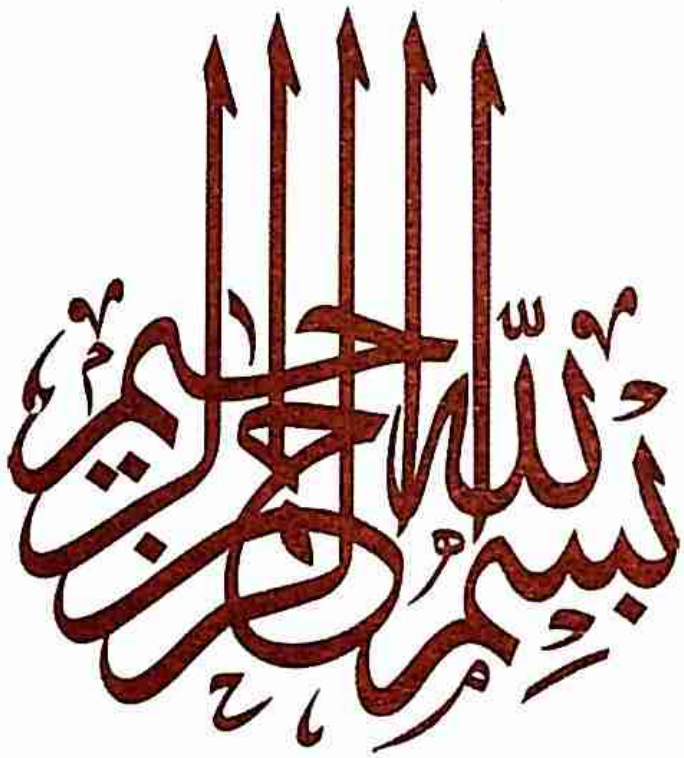
بسم الله الرحمن الرحيم

حَواصِلُ طَير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ: فإنّ نفوسَ كثيرٍ من المسلمين تتطلّع وتتشوّف لمعرفة مُستقر الرُوح بعد مفارقتها الجسَد بالموت، إلى أن يبعث اللهُ الخَلق للحساب، وهو ما يُسمى فترةَ البَرزخ، التي قال الله عنها: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

وهذا من أمور الغيب التي لا تُعرف إلا من خلال نصوص الكتاب والسنة، كما قال سبحانه عن الرُوح نفسها: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فكيف بحالها ومستقرها بعد الموت؟

والأهم والأنفع للمسلم من هذا التطلّع والتشوّف: أن لا يَغفل عن ذِكر الموت، والاستعداد له؛ بالإيمان والأعمال الصالحة، لتنجو روحُه من عذاب القبر وما بعده.

قال ﷺ: «أَكثِروا ذِكرَ هادِمِ اللذّات»[1]، يعني المَوتَ.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب؛ للألباني (٣٣٣٣).

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على القبر بكى حتى تبتلّ لحيتُه، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟!

فقال: إن النبي ﷺ قال: «إن القبرَ أولُ منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بَعده أيسر، وإن لم ينجُ منه، فما بعدَه أشدّ منه، ما رأيتُ منظرًا قَطُّ إلا والقبرُ أفظع منه»[1].

وليتذكر المسلم أنه عندما يُوضع الميت في القبر فإنّ القبرَ يَضمُه ضمةً لا ينجو منها أحد، كبيرًا كان أو صغيرًا، صالحًا أو طالحًا، فقد جاء في الحديث أن القبر ضمّ سعدَ بن معاذ رضي الله عنه وهو من هو مكانةً في الصحابة، قال ﷺ: «**إنّ للقبر ضغطةً لو كان أحدٌ ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ**»[2]، وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن صبيًا دُفن، فقال رسول ﷺ: «**لو أفلت أحدٌ من ضمّة القبر لنجا هذا الصبي**»[3].

فهذه الضمّة هي أول ما يلاقي الميت في عالم البرزخ، وهي قبل سؤال المَلَكين، الذي جاء في قوله ﷺ: «إنّ الميت إذا وُضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يُولّوا مدبرين، فإن كان مؤمنًا

---

(١) صحيح ابن ماجة؛ للألباني (٣٤٦١).
(٢) صحيح الجامع؛ للألباني (٢١٨٠).
(٣) صحيح الجامع؛ للألباني (٥٣٠٧).

كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى من قِبَل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبَلي مدخل، فيقال له: اجلس، فيجلس قد مُثّلت له الشمس وقد دنت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان قِبلكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان قِبلكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: محمد، أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مُت وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله، ثم يُفتح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعدّ الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم يُفتح له بابٌ من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك وما أعدّ الله لك فيها لو عصيتَه، فيزداد غبطةً وسرورًا، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنوّر له فيه، ويُعاد الجسد كما بدأ منه، فتجعل نَسمته في النسيم الطيب، وهي طيرٌ تعلق في شجر الجنة، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الآية.

وإنّ الكافر إذا أُتي من قِبَل رأسه لم يوجد شيء، ثم أُتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أُتي عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أُتي من قِبَل رِجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اجلس، فيجلس مرعوبًا خائفًا، فيُقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: أيُ رجل ! ولا يهتدي لاسمه، فيقال له: محمد، فيقول: لا أدري، سمعت الناس قالوا قولاً فقلتُ كما قال الناس، فيقال له: على ذلك حييت وعليه مُت وعليه تُبعث إن شاء الله، ثم يفتح له بابٌ من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعدّ الله لك فيها، فيزداد حسرةً وثبورًا، ثم يُفتح له بابٌ من أبواب الجنة ويقال له: هذا مقعدك منها وما أعدّ الله لك فيها لو أطعتَه، فيزداد حسرةً وثبورًا، ثم يُضيّق عليه قبرُه حتى تختلف فيه أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾»[1].

وكان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المَحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»[2].

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٦١).
(٢) رواه البخاري (١٣٧٧).

وجوابًا عن تطلعات معرفة مستقر الأرواح بعد مفارقتها أجسادها: جمعتُ هذه الرسالة المُختصَرَة، وهذّبتها من كتاب (الرُوح) للإمام ابن القيم[1]، مع مسائلَ مُتعلِّقةٍ بالموضوع؛ لعلها تَشفي النفوس المتطلّعة.

وسمّيتها (**حَواصِل طَير**)[2]؛ لأنّ اللهَ يجَعل أرواح الشُهداء في جَوف طيرٍ، تَسرح من الجنة حيث شاءت؛ إلى أن يبعث الله الخَلق- كما سيأتي-.

سائلاً اللهَ أن ينفع بها، ويجعلها سببًا للتزود من الطاعات، قبل الممات.

سليمان بن صالح الخراشي
Alkarashi1@hotmail.com

(١) طبعة دار عالم الفوائد.
(٢) حَوصَلة الطَير: انتفاخٌ في المريء يخَتزن فيه الغِذاء قبل وصوله إلى المَعِدة.

الرُوح مخلوقة

لقد أجمعت الرسلُ صلوات الله وسلامه عليهم على أن أرواحَ بني آدم مخلوقة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (رُوح الآدمي مخلوقة مُبدَعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غيرُ واحدٍ من أئمة المسلمين)[1].

والأدلة على خلقها كثيرة؛ منها:

الأول: قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وهذا اللفظ عامٌ لا تخصيص فيه.

الثاني: قوله تعالى عن زكريا عليه السلام: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾، وهذا الخطاب لروحه وبدنه، ليس لبدنه فقط؛ لأن البدن وحده لا يَفهم ولا يُخاطَب ولا يَعقل، وإنما الذي يفهم ويعقل ويُخاطَب هو الرُوح.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، وهو يعم الرُوح

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»؛ لابن تيمية (٤/ ٢١٦-٢٢٠).

والبدن.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾.

إلى آخر الأدلة ..

هل الرُوح تموت؟
أو أن الموت للبدن فقط؟

اختُلِف في هذا ..

فقيل: بأن الرُوح تذوق الموت لأنها نَفس، والله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾.

وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله وحده؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقيل: بأن الرُوح لا تموت؛ لأنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان.

وقد دل على هذا: الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح أو عذابها بعد مفارقتها الجسد، إلى أن يُرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب.

وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾، هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم.

والصواب أن يُقال:

موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، فإن أُريد بموتها هذا القَدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا؛ فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما صرحت بذلك النصوص الشرعية، حتى يردّها الله في جسدها.

خلق الأرواح متأخرٌ عن خلق الأجساد

قال الله تعالى لما أراد خلق آدم أبا البشر عليه السلام: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾؛ فخلقه الله بيده بشرًا، ثم نفخ فيه الرُوح.

وقال ﷺ: «إن أحدَكم يُجمع خَلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون عَلَقةً مثل ذلك، ثم يكون مُضغةً مثل ذلك، ثم يُرسل الملَك فينفخ فيه الرُوح، ويؤمر بأربع كلمات: بكَتب رِزقه، وأجلِه، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إنّ أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإنّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»[1].

فدلّ الحديث على أن الله يُرسل إليه الملَك فيُحدِث فيه الرُوح بنفخته فيه، لا أن الله سبحانه أرسل إليه الرُوح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل.

---

(١) رواه مسلم (٤٧١٨).

هل النفس والرُوح شيء واحد؟

النفس في القرآن تُطلق على الذات بجملتها؛ كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾.

كما أنها تُطلق على الرُوح وحدها؛ كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

وأما الرُوح فلا تُطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس.

وقد سُميت الرُوح روحًا؛ لأنّ بها حياة البدن.

وسُميت النفس روحًا لحصول الحياة بها.

وسُميت نفسًا؛ لنفاستها وشرفها.

أو من تنفّس الشيء، إذا خرج. فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سُميت نفسًا.

فإن العبد كلما نام خرجت منه نفسُه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًا، فإذا دُفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا بُعث رجعت إليه.

هل النفس واحدة أو ثلاث؟!

قال البعض: بأن لابن آدم ثلاثَ أنفس:

نفسٌ مطمئنة.

ونفسٌ لوامة.

ونفسٌ أمّارة.

وأن منهم مَن تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى..

ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، وبقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

والصحيح:

أنها نفسٌ واحدة، ولكن لها صفات، فتُسمى باعتبار كلِّ صفةٍ باسم:

فتُسمى مطمئنةً باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه.

فصاحب النفس المطمئنة يستغني بمحبته تعالى عن حُبّ ما

سواه، وبذكره عن ذكر ما سواه، وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه.

فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقةً تَرِد منه سبحانه على قلب عبده وتجمعه عليه، وتردّ قلبَه الشارد إليه، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة، وتجذب روحه إلى الله، ويلين جِلدُه وقلبه ومفاصله إلى خدمته تعالى والتقرب إليه.

ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله، وبذكره وهو كلامه الذي أنزله على رسوله؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾، فإن طمأنينة القلب: سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره.

وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عَجز.

ولقد قضى الله سبحانه وتعالى قضاءً لا مردّ له: أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته، كائنًا مَن كان، بل لو اطمأن العبد إلى علمه وحاله وعمله: سُلِبه.

وقد جعل الله سبحانه نفوس المطمئنين إلى سواه أغراضًا لِسهام البلاء، ليعلم عباده وأولياؤه أن المتعلق بغيره مقطوع، والمطمئن إلى سواه عن مصالحه ومقاصده مصدود وممنوع.

وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة: أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله، فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان، وانشراح الصدر له، وفرح القلب به، فإنه تعرفٌ من تعرفات الرب سبحانه إلى عبده على لسان رسوله.

فلا يزال القلب في أعظم القلق والاضطراب في هذا الباب حتى يُخالط الإيمان بأسماء الرب تعالى وصفاته وتوحيده وعلوه على عرشه وتكلمه بالوحي بشاشةَ قلبه، فينزل ذلك عليه نزول الماء الزُلال على القلب الملتهب بالعطش؛ فيطمئن إليه ويسكن إليه ويفرح به، ويلين له قلبه ومفاصله، حتى كأنه شاهدَ الأمر كما أخبرت به الرسل، بل يصير ذلك لقلبه بمنزلة رؤية الشمس في الظهيرة لعينه .

فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه.

ثم يطمئن إلى خبره تعالى عمّا بعد الموت من أمور البرزخ، وما بعدها من أحوال القيامة، حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانًا.

وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه وتعالى أهلَ الإيمان حيث قال: ﴿وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

وأما النفس اللوامة: وهي التي أقسم بها سبحانه في قوله: ﴿وَلَآ

أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾؛ فاختُلِف فيها:

فقالت طائفة: هي التي لا تثبت على حالٍ واحدة .

أخذوا ذلك من لفظة التلوّم، وهو التردد، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوقٌ من مخلوقاته، تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة -فضلا عن اليوم والشهر والعام والعُمُر- ألوانًا متلونة، فتذكر وتغفل، وتُقبل وتُعرض، وتُنيب وتجفو، وتُحب وتُبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب .. إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها وتلونها، فهي تتلون كل وقت ألوانًا كثيرة.

وقالت طائفة: بل اللفظة مأخوذة من اَللوم.

وهي نفس المؤمن، وهذا من صفاتها المجردة.

قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائمًا، يقول: ما أردتُ بهذا؟ لمَ فعلتُ هذا؟ كان غير هذا أولى .. و نحو هذا من اَللوم.

وقيل: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب، ثم تلومه عليه ! فهذا اللوم من الإيمان، بخلاف الشقي، فإنه لا يلوم نفسه على ذَنب، بل يلومها وتلومه على فواته !

وقالت طائفة: بل هذا اللوم للنوعين؛ فإنّ كلَّ أحدٍ يلوم نفسَه، بَرًا كان أو فاجرًا .

فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله، وترك طاعته.

والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

وقيل: هذا اللوم يكون يوم القيامة؛ فإنّ كلَّ أحدٍ يلوم نفسه، إن كان مسيئًا فعلى إساءته، وإن كان محسنًا فعلى تقصيره.

وهذه الأقوال كلُّها حق، ولا تنافي بينها؛ فإنّ النفسَ موصوفة بهذا كله، وباعتباره سُميت لوامة.

ولكنّ اللَوامة نوعان:

لَوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة، التي يلومها الله وملائكته.

ولَوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله، مع بذله جهده.

وأشرف النفوس من لامت نفسَها في طاعة الله، واحتملت ملامَ اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومةُ لائم، فهذه قد تخلّصتْ من لَوم الله.

وأما مَن رضيت بأعمالها، ولم تلُم نفسها، ولم تَحتمل في الله ملامَ اللُوام، فهي التي يلومها الله عز وجل.

وأما النفس الأمّارة: فهي المذمومة، وهي التي تأمر بكلِّ سوء، وهذا من طبيعتها، إلا إذا وفّقها الله وثبّتها وأعانها.

فما تخلص أحدٌ من شرِّ نفسه إلا بتوفيق الله له؛ كما قال تعالى حاكيًا عن امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾، وقال تعالى لأكرم خلقه عليه وأحبهم إليه ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

وكان النبي يُعلم الصحابة رضي الله عنهم خُطبة الحاجة: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلله فلا هادي له»(١).

فالشرُ كامنٌ في النفس، وهو يوجب سيئات الأعمال، فإن خلّى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٢٠) وصححه الألباني.

وإن وفّقه وأعانه نجّاه من ذلك كله.

وقد امتحن الله سبحانه الإنسان بهاتين النفسين: الأمّارة واللَوامة، كما أكرمه بالمطمئنة.

فنفسُ الإنسان واحدة؛ تكون أمّارة، ثم لَوامة، ثم مُطمئنة، وهي غاية كمالها وصلاحها.

وقد أيّد الله النفسَ المطمئنة بجنودٍ عديدة؛ فجعل المَلَك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه، ويُريها حُسنَ صورته، ويزجرها عن الباطل ويُزهدها فيه، ويُريها قبحَ صورته.

وأمدّها بما علّمها من القرآن والأذكار وأعمال البِر، وجعل وفود الخيرات ومداد التوفيق تنتابها وتصل إليها من كل ناحية، وكلما تلقتها بالقبول والشكر والحمد لله ورؤية أوليته في ذلك كله: ازداد مَددها، فتقوى على محاربة النفس الأمّارة.

وأما النفس الأمّارة؛ فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو يَعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويُزينه لها، ويُطيل في الأمل، ويُريها الباطل في صورةٍ تقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمداد الباطل؛ من الأماني الكاذبة،

والشهوات المُهلكة، ويستعين عليها بهواها وإرادتها، فمنه يُدخل عليها كلَّ مكروه، فما استعان الشيطان على النفوس بشيءٍ هو أبلغ من هواها وإرادتها إليه.

قال رسول الله ﷺ: «**إن للشيطان لَمّةً بابن آدم، وللملَك لَمّة؛ فأما لَمّة الشيطان فإيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمّة الملَك فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، وليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾»(١).

وأكثرُ الناس الغالب عليهم النفس الأمّارة.

وأما النفس المُطمئنة؛ فهي أقل النفوس البشرية عددًا، وأعظمها عند الله قَدرًا، وهي التي يُقال لها: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

والله سبحانه وتعالى المسؤول، المرجوّ الإجابة: أن يَجعل نفوسَنا مطمئنةً إليه، عاكفةً بهِمتها عليه، راهبةً منه، راغبةً فيما لديه، وأن يُعيذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٨) وصححه الألباني.

هل تُعاد الرُوح إلى الميت في قبره وقت السؤال؟

لقد كفانا رسول الله ﷺ الجواب، وأغنانا عن أقوال الناس، حيث صرّح بإعادة الرُوح إليه.

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد وقعدنا حوله، كأنّ على رؤوسنا الطير، وهو يُلحد له، فقال ﷺ: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**» -ثلاث مرات- ثم قال: «إن العبدَ إذا كان في اقبالٍ من الآخرة وانقطاعٍ من الدنيا، نزلت إليه ملائكةٌ كأنّ وجوههم الشمس، فيجلسون منه مَدّ البصَر، ثم يجيء ملَك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل كما تسيل القَطرة من فيّ السِقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرفةَ عَين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفَن، وذلك الحنُوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مِسك وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الرُوح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا،

فيستفتحون له، فيُفتح له، فيُشيّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله تعالى، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَ عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتُعاد روحه في جسده، فيأتيه ملَكان، فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك بهذا؟ فيقول: قرأت كتابَ الله فآمنت به وصدّقت.

فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة، فيأتيه من ريحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مَدّ بصره، ويأتيه رجلٌ حسَن الوجه، حسَن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سود الوجوه، معهم المُسوح[1]،

---

(١) لِيف من النار.

فيجلسون منه مَدّ البصر، ثم يجيء ملَك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب، فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفّود[1] من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرفة عَين، حتى يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الريح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سِجين في الأرض السُفلى، فتُطرح روحُه طرحًا، ثم قرأ ﷺ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾، فتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملَكان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي منادٍ من السماء أنْ كذبَ عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حَرِّها وسمومها، ويُضيَّق عليه قبرُه حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه قبيح

---

(١) الشوك الصَلب.

الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تُقم الساعة»[1].

تعلقات الرُوح بالبدن:

الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

أحدهـا: تعلقها به وهو جنينٌ في بطن الأمّ.

الثـاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالـث: تعلقها به في حال النوم.

الرابـع: تعلقها به في البرزخ.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الرُوح إلى البدن وقت السؤال. وسؤال البدن بلا روح قولٌ غلط، والأحاديث الصحيحة ترده، ولو كان ذلك على الرُوح فقط لم يكن للقبر بالرُوح اختصاص)[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٣٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى»؛ لابن تيمية (٥/ ٤٤٦).

هل عذاب القبر على النفس والبدن، أو على النفس دون البدن، أو على البدن دون النفس؟

قال ابن تيمية -رحمه الله-[1]: (العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب منفردةً عن البدن، وتُنعَّم وتُعذَّب متصلةً بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعَين، كما تكون على الرُوح منفردةً عن البدن.

فمذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيمٍ أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الرُوح تبقى بعد مفارقة البدن مُنعَّمةً أو مُعذَّبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين).

وأحاديث عذاب القبر ومساءلة مُنكر ونَكير كثيرة متواترة عن النبي ﷺ، كما في الصحيحين[2] عن ابن عباس أن النبي ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما ليُعذبان وما يُعذبان في كبير، أما أحدهما فكان**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى»؛ لابن تيمية (٤/ ٢٨٢-٢٩٥).

(٢) البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢).

لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

وفي صحيح مسلم[1] عن زيد بن ثابت قال: بينا رسول الله ﷺ في حائطٍ لبني النجار على بغلته ونحن معه، إذ حادت به فكادت تُلقيه، فإذا أقبرٌ ستة أو خمسة أو أربعة فقال: «مَن يعرف أصحاب هذه القبور؟»، فقال رجل: أنا، قال: «فمتى مات هؤلاء؟ «، قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، قال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن «، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**»، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وفي صحيح مسلم[2] عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**».

---

(١) برقم (٢٨٦٧).
(٢) برقم (٥٨٨).

وفي صحيح مسلم[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يُعلمهم هذا الدعاء كما يُعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**».

وفي الصحيحين[2] عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس[3]، فسمع صوتًا فقال: «**يهود تُعذَّب في قبورها**».

وفي الصحيحين[4] عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوزٌ من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يُعذبون في قبورهم ! قالت: فكذبتها ولم أنعَم أن أصدقها، قالت: فخرجتْ ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يُعذبون في قبورهم؟ قال: «**صدقت، إنهم يُعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها**»، **قالت: فما رأيته بعدُ في صلاةٍ إلا يتعوذ من عذاب القبر**».

---

(١) برقم (٥٩٠).
(٢) البخاري (١٣٧٥) ومسلم (٢٨٦٩).
(٣) أي: غابـت.
(٤) البخاري (٦٣٦٦) ومسلم (٥٨٦).

وفي صحيح ابن حبان[1] عن أم مبشّر رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله وهو يقول: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»، فقلت: يا رسول الله، وللقبر عذاب؟ قال: «**إنهم ليُعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم**».

و في الصحيحين[2] عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قول الله:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾»).

وفي الصحيحين[3] عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع خَفق نعالهم، أتاه ملَكان، فيُقعدانه فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدُ الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا، ويُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، يُملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون. وأما الكافر والمنافق فيقولان له: ما كنتَ تقول في هذا**

---

(١) برقم (٣١٢٥).

(٢) البخاري (٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١).

(٣) البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمِطراق من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحةً يسمعها مَن عليها غير الثقَلين».

قال الإمام أحمد: (عذابُ القبر حقٌّ، لا يُنكره إلا ضالٌّ أو مُضل)، وقال عن أحاديث عذاب القبر: (هذه أحاديثٌ صِحاح، نؤمن بها، ونُقِر بها .. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

تنبيـــه:

ومما ينبغى أن يُعلم أن عذابَ القبر هو عذاب البرزخ؛ فكلُ من مات وهو مستحقٌ للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِر أو لم يُقبر، فلو أكلته السِباع أو أُحرِق حتى صار رمادًا ونُسِف في الهواء، أو صُلب، أو غَرِق في البحر: وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور.

وفي صحيح البخاري[1] عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا»، فإن رأى أحدٌ رؤيا قصها، فيقول ما شاء الله، فسألَنا يومًا فقال: «هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟»، قلنا: لا، قال:

«لكنى رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، وأخرجانى إلى

(١) برقم (١٣٨٦).

الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالس ورجلٌ قائم بيده كلّوب من حديد يُدخله في شِدق[1] حتى يبلغ قفاه، ثم يُفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقُه هذا، فيعود فيُصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجلٍ مضطجع على قفاه ورجلٌ قائم على رأسه بصخرة أو فِهر[2] فيشدخ بها رأسه، فاذا ضربه تدهده الحجَر، فانطلق إليه ليأخذَه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسُه وعاد رأسُه كما هو، فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نَقب مثل التنّور أعلاه ضيق وأسفله واسع، يُوقد تحته نار، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراة، فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهرٍ من دم، فيه رجلٌ قائم وعلى وسط النهر رجلٌ بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجَرٍ في فِيه فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فِيه بحجَر فرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا إلى روضةٍ خضراء فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخٌ وصبيان، وإذا رجلٌ قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي الشجرة، وأدخلانى دارًا لم أرَ قطُ أحسن منها، فيها شيوخ وشبان، ثم صعدا بي فأدخلاني دارًا

---

(١) جانب الفم، من تحت الخد.

(٢) الفِهر: الحجَر.

هي أحسن وأفضل، قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت؟

قالا: نعم، الذي رأيته يُشق شِدقه كذابٌ يُحدّث بالكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنع به إلى يوم القيامة.

والذى رأيته يُشدخ رأسه فرجلٌ علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة.

وأما الذي رأيتَ في النَقب فهم الزناة.

والذي رأيته في النهر فآكلُ الربا.

وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يُوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبرائيل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك؛ فرفعت رأسي فإذا قصرٌ مثل السحابة، قالا: ذلك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عُمُرٌ لم تستكمله، فلو استكملته أتيتَ منزلك».

وهذا نصٌ في عذاب البرزخ؛ فإن رؤيا الأنبياء وحيٌ مطابقٌ لما في نفس الأمر.

هل ذُكِر عذاب القبر في القرآن؟

قبل الجواب يجب أن يَعلم المسلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيَين، وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحِكمة.

كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

والكتاب: هو القرآن.

والحِكمة: هي السنة.

فما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، وهذا أصلٌ متفقٌ عليه بين أهل الإسلام، لا يُنكره إلا مَن ليس منهم!

وقد قال النبي ﷺ: «**إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[1].

---

(١) رواه أبوداود (٤٦٠٤) وصححه الألباني.

ومع هذا؛ يُقال:

بأنّ عذابَ القبر مذكورٌ في القرآن في غير موضع -خلافًا لما يدعيه بعض المبتدعة-.

فمنهـــا:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، وهذا خطابٌ لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذٍ يُجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى ما بعد انقضاء الدنيا لما صح أن يُقال لهم ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾.

٢-وقوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، فذكر سبحانه عذاب الدارين ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره.

٣-وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾، وهذا يُراد به عذابهم في البرزخ؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يُعذَّب في الدنيا.

وقد يقال: إنّ مَن مات منهم عُذِّب في البرزخ، ومَن بقي منهم عُذِّب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيدٌ بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ.

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقد احتج بهذه الآية جماعةٌ منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذابٌ في الدنيا يُستدعى به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا ما يخفى على حَبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فَهِم منها عذابَ القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابَين: أدنى وأكبر، فأخبر أنه يُذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من العذاب الأدنى بقيةٌ يُعذَّبون بها بعد عذاب الدنيا، وهو عذاب القبر!

٥- وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، فذكر هنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر(١)، وقدَّم ذلك على هذا تقديم الغاية؛ إذ هي أهم وأولى بالذِكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

٦- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾، يقال لها هذا عند الموت، لأنه خطابٌ للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه، وقد فسّر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره: «فيقال لها اخرجي راضيةً مرضيًا عنك»، وأما غير

(١) وهو قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾﴾.

المؤمن فيقال لروحه: « اخرجي مسخوطًا عليك إلى عذاب الله»[1]، وهذا دليل على نعيم القبر وعذابه.

وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيرًا لما دل عليه القرآن.

(١) رواه النسائي (١٨٣٣).

ما هي الأسباب التي يُعذَّب بها أصحابُ القبور؟

الجواب من وجهين: مُجمَل ومُفصَّل:

أما المُجمَل؛ فإنهم يُعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه، فلا يُعذب الله روحًا عرفته وأحبته، وامتثلت أمره واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا؛ فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك؛ كان له من عذاب البرزخ بقَدر غضب الله وسخطه عليه، فمُستقلٌ ومُستكثر، ومُصدِّقٌ ومُكذِّب.

وأما الجواب المُفصَّل:

١ - فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلَين اللذَين رآهما يُعَذبان في قبورهما، يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول[1].

فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه، وإن كان صادقًا.

---

(١) رواه البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢).

وفي هذا تنبيهٌ على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا.

كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهًا على أن مَن ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشدّ عذابًا.

٢- وفي حديثٍ أخبر ﷺ عن الذى ضُرِب سوطًا امتلأ القبر عليه به نارًا؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومرَّ على مظلوم فلم ينصره[١].

٣- وفي حديثٍ أخبر عن تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار، وتعذيب الزناة والزواني، وتعذيب آكل الربا؛ كما شاهدهم النبي ﷺ في البرزخ[٢].

٤- وفي حديثٍ أخبر عن رضخ رؤوس أقوامٍ بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، والذى يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم، والذين يأكلون اللحم المُنتن الخبيث لزناهم، والذين تُقرض شفاههم بمقاريضَ من حديد

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة؛ للألباني (٢٧٧٤).
(٢) رواه البخاري (١٣٨٦).

لقيامهم في الفتن بالكلام والخُطَب[1].

٥- وفي حديثٍ أخبر عن عقوبة القبر لأرباب جرائم؛ فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلةُ الربا، ومنهم من تُفتح أفواههم فيُلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم وهم أكلة أموال اليتامى، ومنهم المُعلقات بثديهنّ وهنَّ الزواني، ومنهم من تُقطع جنوبهم ويُطعمون لحومهم وهم المغتابون، ومنهم من لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يُمزقون أعراض الناس[2].

٦-وفي حديثٍ أخبر عن صاحب الشَملة التي غَلَّها من المَغانم أنها تشتعل نارًا في قبره[3]، هذا وله فيها حق، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه؟

فعذابُ القبر من معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل، والبدن كله، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المُحصَن والساعي في الفتنة والداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله مالا علم له به،

---

(١) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦٧٩).
(٢) رواه البيهقي في « دلائل النبوة » (٦٧٧).
(٣) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥).

والمجازف في كلامه وآكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السُحت من الرشوة وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهَد وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمُحلِّل والمُحلَّل له والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله والمعين على الإثم والعدوان وقاتل النفس التي حرّم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ، والنائحة والمستمع إليها، ونواحو جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرّمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرُج، والمطففون في استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوفته بالله وذكَّرته به لم يرعوِ ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكفّ عمّا هو فيه، والذى يُهدى بكلام الله ورسوله ﷺ فلا يهتدي ولا يرفع به رأسًا، فإذا بلغه

عمّن يُحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه ! والذى يُقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به، فاذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب سِرُّه وتواجد ! وهاج من قلبه دواعي الطرب وود أن المغنى لا يسكت ! والذى يحلف بالله ويَكذب، فاذا حلف بغيره ممن يُعظمه من المخلوقين لم يكذب ! والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهِر، والذى لا تأمنه على مالك وحُرمتك، والفاحش اللسان البذيء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها، ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدي زكاة ماله طيبةً بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدى ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظه ولا لفظة ولا أكله ولا خَطوه، ولا يبالي بما حصّل من المال من حلالٍ أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدُعُّ اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه.

فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذَّبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقِلتها، وصغيرها وكبيرها.

ولما كان أكثر الناس كذلك، كان أكثر أصحاب القبور مُعذَّبين، والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسراتٌ وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليات، تغلي بالحسرات، كما تغلي القدور بما فيها، ويحق لها، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها.

تالله لقد وعظتْ فما تركتْ لواعظٍ مقالاً، ونادت يا عُمَّار الدنيا لقد عمرتم دارًا مُوشِكةً بكم زوالا، وخرّبتم دارًا أنتم مسرعون إليها انتقالا، عمرتم بيوتًا لغيركم منافعها وسكناها، وخرّبتم بيوتًا ليس لكم مساكن سواها، هذه دارُ الاستيفاء ومستودَع الأعمال وبَيدر الزرع[1]، هذه محَلُ العِبرَ، رياضٌ من رياض الجنة، أو حُفرةٌ من حُفَر النار.

(١) البيدَر: الموضع الذي يجُمع فيه الحَب.

ماهي الأسباب المُنجِية من عذاب القبر؟

والجواب أيضًا من وجهين:

مُجمَل ومُفصَّل.

أما المُجمَل؛ فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعةً يُحاسب نفسه فيها على ما خسِره وربحه في يومه، ثم يُجدد له توبةً نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كلَّ ليلة .

فإن مات من ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل، مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقيل ربه ويستدرك ما فاته، وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم، حتى يغلبه النوم.

فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

وأما الجواب المُفصَّل:

فنذكر بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ فيما يُنجي من عذاب القبر:

١-قال ﷺ: «رِباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عملُه الذى كان يعمله، وأجري عليه رِزقه، وأَمِن الفتّان»(١)، أي عذاب القبر.

٢-وسئل النبي ﷺ: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة»(٢).

وقوله:«كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة» معناه أنه قد امتُحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف على رأسه؛ فلم يفر، فلو كان منافقًا لما صبر على بارقة السيف على رأسه، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له، فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره.

٣- قال النبي ﷺ عن سورة تبارك: «**هي المانعة، هي المُنجية، تُنجيه من عذاب القبر**»(٣).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: مَن قرأ تبارك الذي بيده

---

(١) رواه مسلم (١٩١٣).
(٢) رواه النسائي (٢٠٥٣) وصححه الألباني.
(٣) صحيح الجامع؛ للألباني (٣٦٤٣).

الملك كلَّ ليلة منعه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نُسميها المانعة(١).

٤- قال النبي ﷺ: «مَن يقتله بطنُه لم يُعذَّب في قبره»(٢).

(١) حسّنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(١٤٧٥).
(٢) رواه النسائي (٢٠٥١) وصححه الألباني.

هل السؤال في القبر عامٌ في حق المسلمين والمنافقين والكفار؟

الصحيح: أن السؤال في القبر يكون للكافر وللمُسلم؛ لقول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾، وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يُسأل العبد من ربك وما دينك ومن نبيك.

وفي الصحيحين[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن العبدَ إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرعَ نعالهم .. وأما المنافق والكافر فيُقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيُقال: لا دريتَ ولا تليت، ويُضرب بمِطرقة من حديد، يصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين».

وفي حديث أبى سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها،

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

فإذا الإنسان دُفن وتولى عنه أصحابه، جاء ملَك وفي يده مِطراق، فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول له: صدقتَ. فيُفتح له بابٌ إلى النار، فيقول: هذا منزلك لو كفرتَ بربك.

وأما الكافر والمنافق فيقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، فيُقال: لا دريتَ ولا اهتديت. ثم يُفتح له بابٌ إلى الجنة فيقول له: هذا منزلك لو آمنتَ بربك، فأما إذ كفرتَ فإنّ الله أبدلك به هذا، ثم يُفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه الملَك بالمِطراق قمعةً يسمعه خلق الله إلا الثقلين».

فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، ما أحدٌ يقوم على رأسه ملَكٌ إلا هِيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء**»[1].

وقال ﷺ: «**وإنّ الكافرَ إذا كان في قُبُل من الآخرة وانقطاعٍ من الدنيا نزل إليه ملائكةٌ شِدادٌ غِضاب، معهم ثيابٌ من نار وسرابيلُ**

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠٥٧٧).

من قَطِران[1] فيحتوشونه، فتُنزِع روحه كما يُنزع السفّود الكثير الشُعَب من الصوف المبتل، فإذا أُخرِجت لعنه كلُ ملَكٍ بين السماء والأرض، وكلُ ملَكٍ في السماء -وذكر الحديث إلى أن قال- إنه ليسمع خفقَ نعالهم إذا ولّوا مدبرين، فيقال: يا هذا، مَن ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيُقال: لا دريتَ -وذكر الحديث-»[2].

وقد أخبر الله في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

فإذا سُئلوا يوم القيامة، فكيف لا يُسألون في قبورهم؟

(١) القَطِران: عُصارة شجر الأرز تُطبخ ثم تُطلى بها الإِبِلُ الجَربى.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٥٥٧) وصححه الألباني.

هل سؤال مُنكَر ونَكير [1] مختصٌ بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟

قيل: بأن سؤالَ الميت في قبره خاصٌ بأمة محمد ﷺ؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فاذا أبَوا كفّت الرسل واعتزلوهم، وعوجلو بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا ﷺ بالرحمة إمامًا للخلق؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أمسك عنهم العذاب، وأُعطِي السيف حتى يدخل في دين الإسلام مَن دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فأُمهِلوا، فمن ها هنا ظهر أمر النفاق، وكانوا يُسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في سِتر، فإذا ماتوا قيّض الله لهم فتاني القبر ليستخرجا سِرهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب، و﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

ويُحتج لهذا القول: بقوله ﷺ: «إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها» [2]،

---

(١) قال ﷺ: «إذا قُبر الميت أتاه ملَكان أسودان أزرقان يُقال لأحدهما المُنكَر والآخر النكير..» رواه الترمذي (١٠٧١) وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧).

وبقوله ﷺ: «أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم»[1].

وهذا ظاهرٌ في اختصاص السؤال بهذه الأمة.

ويدل عليه قول الملَكين للميت -كما سبق-: «ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول المؤمن: أشهد أنه عبد الله ورسوله».

فهذا خاصٌ بالنبي ﷺ.

و قال ﷺ: «فأمّا فتنةُ القبر فبِي تُفتنون، وعنِّي تُسألون»[2].

وقيل: سؤال الميت في قبره يكون لهذه الأمة ولغيرها.

وأما ما سبق فإنه لا يدل على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم؛ فإن قوله: «إن الأمة»، قد يراد به أمة الناس كلهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾، وكلُ جنس من أجناس الحيوان يُسمى أمة، وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»[3]، وفيه أيضا حديث النبي الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأُحرِقت،

---

(١) رواه البخاري (٨٦) ومسلم (٥٠٥).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب؛ للألباني (٣٥٥٧).
(٣) رواه أبوداود (٢٨٤٥) وصححه الألباني.

فأوحى الله إليه: «**من أجل أن قرصتك نملةٌ واحدة أحرقتَ أمة من الأمم تُسبّح الله؟**»[1].

وإن كان المراد به أمته الذين بُعث فيهم؛ لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخبارًا بأنهم مسئولون في قبورهم، وأن ذلك لا يختص بمَن قبلهم؛ لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم.

وكذلك قوله: «أُوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم»، وكذلك إخباره عن قول الملَكين: «ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟» هو إخبارٌ لأمته بما تُمتحن به في قبورها.

والراجح: أن كلَّ نبيٍ مع أمته كذلك، وأنهم مُعذبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يُعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) رواه البخاري (٣٠١٩).

هل يُسأل الأطفال في قبورهم؟

قيل بأنهم يُسألون؛ لأنه يُشرع الصلاة عليهم، والدعاء لهم، وسؤال الله أن يقيَهم عذابَ القبر وفتنةَ القبر، كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى على جنازة صبيٍّ فسُمع من دعائه: «اللهم أعذه من عذاب القبر»[1].

وقال ﷺ عن صبيٍ مات: «**لو أفلَتَ أحدٌ من ضَمَّةِ القبرِ لأفلَتَ هذا الصبيُّ**»[2].

والله سبحانه يُكمل لهؤلاء الأطفال عقولَهم؛ ليعرفوا بذلك منزلهم، ويُلهمون الجواب عما يسألون عنه.

وقد دل على ذلك الأحاديث الكثيرة التي فيها أنهم يُمتحنون في الآخرة، فإذا امتُحنوا في الآخرة لم يَمتنع امتحانهم وسؤالهم في القبور.

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ (٦١٠) وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح"، برقم (١٦٨٩).

(٢) صحيح الجامع؛ للألباني (٥٢٣٨).

وقيل: لا يُسألون؛ لأنّ السؤالَ إنما يكون لمن عقل الرسول والمُرسل، فيُسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟

فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فأما الطفل الذي لا تمييز له فكيف يُقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

ولو رُد إليه عقله في القبر فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة في هذا السؤال أصلاً.

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة أو فعل معصية قطعًا؛ لأنّ الله لا يُعذب أحدًا بلا ذنبٍ عمله، بل عذاب القبر فيه يُراد به الألم الذي يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبةً على عملٍ عمله، ومنه قوله ﷺ: «**إن الميت ليُعذب ببكاء أهله عليه**»[1]، أي يتألم بذلك ويتوجع منه، لا أنه يُعاقب بذنب الحي، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٦) ومسلم (٩٢٧).

ومثل قوله ﷺ: «**السفر قطعة من العذاب**»[1]، فالعذابُ أعمّ من العقوبة .

ولا ريب أنّ في القبر من الآلام والهموم والحسرَات ما قد يسري أثره إلى الطفل فيتألم به، فيُشرع للمصلي عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيه ذلك العذاب، والله أعلم.

(١) رواه البخاري (١٨٠٤) ومسلم (١٩٢٧).

هل عذابُ القبر دائمٌ أو منقطع؟

الجواب: هو نوعان:

- النوع الأول: عذابٌ دائم، وهو عذاب الكافرين والمنافقين -والعياذ بالله-، سِوى ما ورد في بعض الأحاديث أنه يُخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾.

ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾.

ويدل عليه الحديث الذي رواه البخاري[1] في رؤيا النبي ﷺ، وفيه: «فهو يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة».

وحديث أبي هريرة -كما سبق-: «ثم أتى رسول الله ﷺ على قومٍ تُرضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رُضخت عادت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء».

وقصة الذي لبس بُردين، وجعل يمشي يتبختر، فخسف الله به

(١) برقم (١٣٨٦).

الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[1].

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه -كما سبق- في قصة الكافر: «ثم يُفتح له بابٌ إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة».

- **النوع الثاني**: عذابٌ إلى مدة ثم ينقطع، وهو عذابُ بعض العصاة المسلمين، الذين خَفّت جرائمهم، فيُعذَّبون بحسب جُرمهم، ثم يُخفف عنهم، كما يُعذب في النار مدةً ثم يزول عنه العذاب.

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاءٍ أو صدقة أو استغفار أو ثواب حَجٍ أو قراءةٍ تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم، وهذا كما يشفع الشافع في المعذَّب في الدنيا؛ فيَخلص من العذاب بشفاعته.

لكن هذه الشفاعة تكون بإذن الله سبحانه وتعالى، فلا يتقدم أحدٌ بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨).

ولا تغتر بغير هذا؛ فإنه شركٌ وباطل يتعالى الله عنه، قال سبحانه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، وقال: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾. فالشفاعة لا تُطلب إلا منه وحده.

أين مُستقر الأرواح
ما بين الموت إلى يوم القيامة؟

هذه مسألةٌ عظيمة، تكلم فيها العلماء واختلفوا، وهي مسألةٌ تُتلقى من الشرع فقط، وهذه هي أقوالهم، متبوعةً بالقول الراجح:

القول الأول: أنّ أرواح المؤمنين عند الله في الجنة، شهداءَ كانوا أو غيرَ شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرةٌ ولا دَين، وتلقّاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم.

لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾، وهذا ذكرَه سبحانه عُقيب ذكر خروج الرُوح من البدن بالموت، وقسّم الأرواح إلى ثلاثة أقسام:

مُقرَّبة؛ وأخبر أنها في جنة النعيم.

وأصحاب يمين: حكم لها بالإسلام، وهو يتضمن سلامتها من العذاب.

ومُكذِّبة ضَالة: أخبر أن لها نُزُلاً من حميم، وتصلية جحيم.

وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعًا.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾، وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إنّ هذا يُقال لها عند خروجها من الدنيا، يُبشرها الملَك بذلك.

ولا ينافي ذلك قول من قال: إنّ هذا يُقال لها في الآخرة؛ فإنه يُقال لها عند الموت ويُقال لها عند البَعث، وهذه من البُشرى التي قال الله تعالى عنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ وهذا التنزل يكون عند الموت، ويكون في القبر، ويكون عند البعث.

وأول بشارة الآخرة عند الموت.

وتقدّم في الحديث أن الملَك يقول لها عند قبضها: «أبشري برَوحٍ ورَيحان»، وهذا من رَيحان الجنة.

وقال ﷺ: **«إنما نَسَمة المؤمن طائرٌ يَعلُق في شجر الجنة حتى يُرجِعه الله إلى جَسده يوم يبعثه»**(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٥٨١٤) وصححه الألباني.

وهذا يَعمّ الشهيدَ وغيرَ الشهيد.

ولكنْ ورد في حديثٍ آخر: قوله ﷺ عن الشهداء: «أرواحهم في جَوف طيرٍ خُضِر لها قناديل معلقة بالعرش تَسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل»(١).

فخصَّ الشهداء هنا: للتنبيه على فضل الشهادة في سبيل الله، وأنهم لما أتلَفوا أبدانَهم في سبيل الله أعاضَهم الله عنها أبدانًا خيرًا منها في البرزخ، إلى يوم القيامة، ويكون تنعّمها بواسطة تلك الأبدان أكملَ من نعيم الأرواح المجرّدة عنها.

ولهذا كانت نَسَمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونَسَمة الشهيد في جَوف طير.

وتأمل لفظ الحديثين: فإنه ﷺ قال: «**نَسَمة المؤمن طير**»، فهذا يعم الشهيد وغيره، ثم خصَّ الشهيد بأن رُوحه «**في حَواصِل طَير**»(٢)، ومعلومٌ أنها إذا كانت في جَوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على مَن يُصدِّق كلامُه بعضُه بعضًا، ويدل على أنه حقٌّ من عند الله.

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٢) حَوصَلة الطَير: انتفاخٌ في المريء يختزن فيه الغِذاء قبل وصوله إلى المَعِدة.

والنَسَمة هي الرُوح، يدل على ذلك قوله في الحديث نفسه: «حتى يُرجِعه الله إلى جسده يوم يبعثه».

وإنما قيل للروح نَسَمة: لأن حياة الانسان برُوحه، وإذا فارقه عُدِم أو صار كالمعدوم.

وقوله: «تَعلُق في شجر الجنة»: أي: تأكل من ثمار الجنة، وتسرح بين أشجارها.

ولا تنافي بين قوله ﷺ: «نَسَمة المؤمن طائرٌ يَعلق في شجر الجنة»، وبين قوله ﷺ: «إنّ أحدَكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغَداة والعَشيّ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار»، لأن كونه يُعرض عليه مقعده بالغداة والعَشيّ، لا ينفي أن روحه في البرزخ تَرِد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها.

وأما الدخول التام الكامل فيكون يوم القيامة.

فتنعُم الأرواح بالجنة في البرزخ شيء، وتنعُمها مع الأبدان يوم القيامة شيءٌ آخر، فغذاء الرُوح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث .

ولهذا قال ﷺ: «**تَعلُق في شجر الجنة**»؛ أي تأكل العُلقة[1]، أما تمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا رُدت إلى أجسادها يوم القيامة.

القول الثاني: أن أرواح المؤمنين تكون بفِناء الجنة وعلى بابها، يأتيهم من رَوحها ونعيمها ورزقها.

واحتجوا بقوله ﷺ: «**الشُهداء على بارق، نهرٌ بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقُهم من الجنة بُكرةً وعشيّة**»[2].

وهذا لا ينافي كونهم في الجنة؛ فإن ذلك النهر من الجنة، ورزقهم يخرج عليهم من الجنة، فهم في الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها.

القول الثالث: أن الأرواح تكون على أفنية قبورها.

وصاحب هذا القول إن أراد أن هذا أمرٌ لازمٌ لها، لا تُفارق أفنية القبور أبدًا؛ فهذا خطأٌ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة.

وإن أراد أنها تكون على أفنية القبور وقتًا، أو لها إشرافٌ على

---

(١) العُلقة من الطعام: ما يُتصبر به إلى وقت الطعام الكامل.
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٩٠) وحسّنه الألباني.

قبورها وهي في مقرها؛ فهذا حق، ولكن لا يُقال مستقرها أفنية القبور.

- القول الرابع: أن الأرواح مُرسلة، تذهب حيث شاءت.
- القول الخامس: أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار.
- القول السادس: أن أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولا يُزاد على هذا؛ تأدبًا مع لفظ القرآن؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وعن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا خرجت نفسُه يُعرج بها إلى السماء حتى يُنتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، وإذا كان الرجل السوء يُعرج بها إلى السماء فإنه لا يُفتح لها أبواب السماء، فتُرسل من السماء فتصير إلى القبر»(١).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «تَخرج رُوح المؤمن أطيب من ريح المسك، فتنطلق بها الملائكة من دون السماء فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان ابن فلان، كان يعمل كيت وكيت -لمحاسنَ عمله-، فيقولون: مرحبًا بكم

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٨٧٦٩) وصححه الألباني.

وبه، فيقبضونها منهم، فيُصعد بها من الباب الذي كأن يصعد منه عملُه، فتُشرق في السموات ولها برهان كبرهان الشمس، حتى ينتهي إلى العرش. وأما الكافر فإذا قُبض انطُلق برُوحه فيقولون: ما هذا؟ فيقولون: هذا فلان ابن فلان، كان يعمل كيت وكيت -لمساوي عمله -، فيقولون: لا مرحبًا لا مرحبًا، ردوه، فيُرد إلى أسفل الأرض إلى الثرى»[1].

ولما دخل ابن عمر على أسماء بنت أبي بكر بعد قتل ابنها عبدالله بن الزبير رضي الله عنهم، قال لها: «عليكِ بتقوى الله والصبر، فإن هذه الجثث ليست بشيء، وإنما الأرواح عند الله، فقالت: وما يمنعني من الصبر؟ وقد أُهدِي رأس يحيى ابن زكريا إلى بَغيٍّ من بغايا بنى إسرائيل»[2].

وهذا القول لا ينافي قول من قال: هم في الجنة؛ فإنّ الجنة عند سدرة المنتهى، والجنة عند الله.

القول السابع: أن أرواح المؤمنين بالجَابية[3]، وأرواح الكفار ببرهوت، بئرٌ بحضرموت.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢١٨٧).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٣١٧).
(٣) من أرض الشام.

لقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «إن أرواح المؤمنين تجتمع بالجَابية، وإن أرواح الكفار تجتمع في سَبخةٍ بحضرموت يقال لها برهوت»(١).

وعن علي رضي الله عنه: «أبغض بقعة في الأرض وادٍ بحضرموت يقال له برهوت، فيه أرواح الكفار»(٢).

ولعل عبد الله بن عمرو أراد بالجَابية: التمثيل والتشبيه، وأنها تجمع في مكانٍ فسيح يُشبه الجَابيه بالشام؛ لسَعته وطيب هوائه.

أما إن أريد نفس الجَابية دون سائر الأرض، فهذا لا يُعلم إلا بالتوقيف من الكتاب والسنة، ولعله مما تلقاه رضي الله عنه عن بعض أهل الكتاب.

القول الثامن: أن أرواح المؤمنين في الأرض التي يقول الله تعالى عنها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، على القول بأنها الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث، وهي الأرض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» (٥٤٤).
(٢) أخبار مكة؛ للفاكهي (١١١).

لكن للآية تفسيرٌ آخر:

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها الدنيا التي فتحها الله على أمة محمد ﷺ، وهذا القول هو الصحيح، ونظيره قوله تعالى في سورة النور: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**زُويت لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ مُلك أمتي ما زُوي لي منها**»(١).

القول التاسع: أن أرواح المؤمنين في عِليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سِجين في الأرض السابعة؛ لقوله ﷺ عند موته: «**اللهم الرفيق الأعلى**»(٢)، وقوله ﷺ: «إن الميت إذا خرجت رُوحُه عُرج بها إلى السماء، حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة التي فيها الله عز وجل»(٣).

ولكن هذا لا يدل على استقرارِها هناك، بل يُصعد بها إلى هناك للعَرض على ربها، فيقضيي فيها أمرَه، ويكتب كتابَه من أهل عِليين، أو من أهل سِجين، ثم تعود إلى القبر للمسألة، ثم

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٣) ومسلم (٢٤٤٤).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٦٢) وصححه الألباني.

ترجع إلى مقرها التي أُودِعت فيه؛ فأرواح المؤمنين في عِليين بحسب منازلهم، وأرواح الكفار في سِجين بحسب منازلهم.

۞ **القول العاشر**: أن أرواحَ المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكفار ببئر برهوت.

وهذا قولٌ لا دليل عليه من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها، ولا قول صحابي، وليس بصحيح، فإنّ بئرَ زمزم لا تَسع أرواح المؤمنين جميعهم، وهو مخالفٌ لما ثبت في السنة الصريحة من أن نَسَمة المؤمن طائرٌ يَعلُق في شجر الجنة -كما سبق-.

فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها، وهو أفسد من قول مَن قال إنها بالجَابية، فإن ذلك مكانٌ متسعٌ فضاء، بخلاف البئر الضيقة.

۞ **القول الحادي عشر**: أنّ أرواحَ المؤمنين في بَرزخٍ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواحَ الكفار في سِجين، وهذا يُروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه(١).

والبرزخ: هو الحاجز بين شيئين، وكأنّ سلمان أراد بها: في أرضٍ بين الدنيا والآخرة، مُرسلة هناك، تذهب حيث شاءت.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» (٥٤٣).

وهذا قولٌ قوي؛ فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخٍ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الرَوح والرَيحان والنعيم، وأرواح الكفار في برزخ ضيّقٍ فيه الغم والعذاب، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾؛ فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله الحاجز بين الشيئين.

القول الثاني عشر: أنّ أرواحَ المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام، وأرواحَ الكفار عن شماله.

ودليل هذا القول: حديث الإسراء؛ فان النبي ﷺ رآهم كذلك، ولكنه لا يدل على تعادلهم في اليمين والشمال، بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسَعة، وهؤلاء عن يساره في السُفل والسجن.

فإن قيل: فإذا كانت أرواح أهل السعاده عن يمين آدم عليه السلام، وآدم في السماء الدنيا، وقد ثبت أن أرواح الشهداء في ظل العرش، والعرش فوق السماء السابعة، فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي ﷺ هناك في السماء الدنيا؟

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا يُمتنع كونها عن يمينه في جهة العلو ؛ كما كانت أرواح الأشقياء عن يساره في جهة السُفل.

الثاني: أنه غير ممتنع أن تُعرض على النبي ﷺ في سماء الدنيا، وإن كان مستقرها فوق ذلك.

الثالث: أنه لم يُخبر أنه رأى أرواح السعداء جميعًا هناك، بل قال: «فإذا عن يمينه أسْودة وعن يساره أسْودة»(١)، ومعلوم قطعًا أنّ رُوح إبراهيم وموسى عليهما السلام فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة، وكذلك الرفيق الأعلى أرواحهم فوق ذلك، وأرواح السعداء بعضها أعلى من بعض بحسب منازلهم، كما أن أرواح الأشقياء بعضُها أسفل من بعض بحسب منازلهم.

القول الثالث عشر: أنّ مستقر الأرواح حيث كانت قبل خلق أجسادها.

قال أصحاب هذا القول: لأنه الذي قاله الله عز وجل ونبيه ﷺ، لا نتعداه، فهو البرهان الواضح؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾، **وقال تعالى**: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ

(١) رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (٢٦٣) وأسوِده أي جماعات.

صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾.

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملةً، وكذلك أخبر أن الأرواح جنودٌ مُجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وأخذ الله عهدَها وشهادتها له بالربوبية وهي مخلوقة مُصوَّرة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يُدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذٍ تراب وماء، ثم أقرّها حيث شاء، وهو البرزخ الذى ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني .

فصح أن الأرواح أجسادٌ حاملةٌ لأغراضها من التعارف والتناكر، وأنها عارفة مميِّزة، فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها، فترجع إلى البرزخ الذى رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسري به عند سماء الدنيا، أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، ويُعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ

﴿ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

تنبيـــه : هذا على القول بأن الأرواح مخلوقةٌ قبل الأجساد، وهذا فيه قولان، وجمهور العلماء على أن الأرواح خُلقت بعد الأجساد، والذين قالوا إنها خُلقت قبل الأجساد ليس معهم على ذلك دليلٌ من كتاب ولا سنة ولا إجماع إلا ما فهموه من نصوصٍ لا تدل على ذلك، أو أحاديث لا تصح.

- **القول الرابع عشر**: أن أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم .

- **القول الخامس عشر**: أن مستقر الأرواح: العدم المحض !

وهذا قولُ من يرى أن الروحَ عَرَضٌ من أعراض البدن، وهو الحياة.

وهؤلاء عندهم أن الجسم إذا مات عُدمت روحه وسائر أعراضه المشروطة بالحياة، ومَن يقول منهم إن العرَض لا يبقى زمانين، يرى أن رُوح الإنسان الآن هي غير روحه قبل، وهو لا ينفك يحدث له رُوحٌ ثم تُغيَّر، ثم رُوحٌ ثم تُغيَّر .. هكذا أبدًا!

فيُبدل له ألفُ رُوح فأكثر في مقدار ساعةٍ من الزمان فما دونها !

فإذا مات: فلا رُوح له تصعد إلى السماء وتعود إلى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها أبواب السموات، ولا تُنعَّم ولا تُعذَّب، وإنما يُنعَّم ويُعذَّب الجسد، إذا شاء الله تنعيمه أو تعذيبه رد إليه الحياة في وقتٍ يريد نعيمه أو عذابه، وإلا فلا أرواح هناك قائمة بنفسها البتة.

وقال بعضهم: تُردُ الحياة إلى عَجْبِ الذَنَب[1]، فهو الذي يُعذَّب ويُنعَّم وحسب !

وهذا قولٌ يرده الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم، وأدلة العقول والفِطرة، وهو قولُ مَن لم يعرف رُوحَه فضلا عن رُوح غيره !

وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج، ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على أنها تصعد وتنزل وتُقبض وتُمسك وتُرسل، وتُستفتح لها أبواب السماء، وتسجد وتتكلم، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القَطرة، وتُكفن وتُحنط في

---

(١) عَجْبُ الذَنَب: هو نهاية العمود الفقري «العصعص». قال ﷺ: «كُلُّ ابنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرابُ، إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنه خُلِقَ وفيهِ يُرَكَّبُ» رواه مسلم (٢٩٥٥).

أكفان الجنة أو النار، وأنّ ملَك الموت يأخذها بيده ثم تتناولها الملائكة من يده، ويُشم لها كأطيب نفحة مِسك أو أنتن جيفة، وتُشيع من سماءٍ إلى سماء، ثم تعاد إلى الأرض مع الملائكة، وأنها إذا خرجت تبعها البصَر بحيث يراها وهي خارجة، ودل القرآن على أنها تنتقل من مكان إلى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها.

وقد شاهد النبي ﷺ الأرواحَ ليلة الإسراء عن يمين آدم عليه والسلام وشماله، وأخبر أن نَسمة المؤمن طائرٌ يَعلق في شجر الجنة، وأن أرواحَ الشهداء في حَواصِل طَير خُضر، وأخبر تعالى عن أرواح آل فرعون أنها تُعرض على النار غدًوا وعَشيًا.

القول السادس عشر: أنّ مستقرَ الأرواح بعد الموت: أن تكون في أبدانٍ أُخرى غير هذه الأبدان.

وهذا القول فيه حقٌّ وباطل.

فأمّا الحق: فما أخبر عنه ﷺ -كما سبق- عن أرواح الشهداء أنها في حَواصِلِ طيرٍ خُضر، تأوي إلى قناديل مُعلقة بالعرش، هي لها كالأوكار للطائر.

وأما قوله ﷺ: «**نَسَمة المؤمن طائرٌ يَعلُق في شجر الجنة**»،

فيحتمل أن يكون هذا الطائر مركبًا للروح كالبدن لها، ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء، ويحتمل أن يكون الرُوح في صورة طائر .

وحديث: «**أرواح الشهداء في حَواصِل طَيرٍ خُضر**» هو من تمام إكرام الله للشهداء أن أعاضهم من أبدانهم التي مزقوها لله أبدانًا خيرًا منها، تكون مركبًا لأرواحهم، ليحصل بها كمال تنعمهم، فإذا كان يوم القيامة ردَّ أرواحَهم إلى تلك الأبدان التي كانت فيها في الدنيا .

فإن قيل: هذا هو القول بالتناسخ !

قيل: هذا المعنى الذي دلت عليه السنة الصريحة حقٌ يجب اعتقاده، ولا يُبطله تسميه المسمي له تناسخًا؛ كما أن إثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله عز وجل وحقائق أسمائه الحسنى حقٌ لا يُبطله تسمية المعطلين لها تركيبًا وتجسيمًا.

وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من إثبات أفعاله وكلامه بمشيئته، ونزوله كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا، ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حقٌ لا يُبطله تسمية المعطلين له حلولَ حوادث.

كما أنّ ما دلَّ عليه العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم واستوائه على عرشه وعروج الملائكة والرُوح إليه ونزولها من عنده وصعود الكلم الطيب إليه وعروج رسوله إليه ودنوّه منه حتى صار قاب قوسين أو أدنى، وغير ذلك من الأدلة، حقٌّ لا يُبطله تسمية الجهمية له حيزًا وجِهةً وتجسيمًا.

قال الإمام أحمد: (لا نزيل عن الله صفةً من صفاته لأجل شناعة المشنعين)؛ فإن هذا شأن أهل البدع، يُلقبون أهل السنة وأقوالها بالألقاب التي يُنفِّرون منه الجهال، ويُسمونها حشوًا وتركيبًا وتجسيمًا، ويُسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيّزًا وجِهةً؛ ليتوصلوا بذلك إلى نفي علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه؛ كما تُسمي الرافضة موالاة أصحاب رسول الله ﷺ كلهم ومحبتهم والدعاء لهم: نَصبًا.

فليس الشأن في الألقاب، وإنما الشأن في الحقائق.

والمقصود: أن تسميةَ ما دلت عليه الأدلة الصريحة من جعل أرواح الشهداء في أجواف طيرٍ خُضر تناسخًا لا يُبطل هذا المعنى، وإنما التناسخ الباطل ما تقوله أعداء الرسل من الملاحدة وغيرهم، الذين يُنكرون المعاد، ويقولون بأن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان إلى أجناسِ الحيوان والحشرات والطيور

التي تُناسبها وتُشاكلها، فإذا فارقت هذه الأبدان انتقلت إلى أبدانِ تلك الحيوانات !

فتُنعَّم فيها أو تُعذَّب، ثم تفارقها وتحلّ في أبدانٍ أُخَر تناسب أعمالها وأخلاقها، وهكذا أبدًا، فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها، لا معادَ لها عندهم غير ذلك .

فهذا هو التناسخ الباطل المُخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم، وهو كفرٌ بالله واليوم الآخر.

۞ الراجح من هذه الأقوال السابقة:

أن الأرواحَ متفاوتةٌ في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت:

فمنها أرواحٌ في أعلى عِليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواحٌ في حَواصِلِ طَيرٍ خُضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء مَن تُحبس روحُه عن دخول الجنة لدَينٍ عليه، أو غيره ؛كما في المسند[1]

(١) برقم (١٧٢٥٣) وصححه الألباني.

عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ! مالي إن قُتلت في سبيل الله؟ « قال: «الجنة»، فلما ولّى قال: «إلا الدَين، سارَّني به جبريل آنفًا».

ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة؛ كما قال ﷺ: «**رأيتُ صاحبَكم محبوسًا على باب الجنة**»(١).

ومنهم من يكون محبوسًا في قبره؛ كحديث صاحب الشَملة(٢) التي غلّها ثم استشهد فقال الناس: هنيئا له الجنة ! فقال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنّ الشَملة التي غلّها لتشتعل عليه نارًا في قبره**»(٣).

ومنهم مَن يكون مقرُه بابَ الجنة؛ كما في حديث: «الشهداء على بارق؛ نهر بباب الجنة في قُبّةٍ خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشية»(٤)، وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب رضي الله عنه حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تَعلُ رُوحه إلى الملأ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠١٢٤) وصححه الألباني.
(٢) كِساء من صوف أو شعَر.
(٣) رواه البخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥).
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٩٠) وحسّنه الألباني.

الأعلى، فإنها كانت روحًا سُفلية أرضية، فإنّ الأنفس الأرضية لا تُجامع الأنفس السماوية، كما لا تُجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفةَ ربِّها ومحبته وذِكره والأُنس به والتقرب إليه، بل هي أرضية سفلية: لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك.

كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفةً على محبة الله وذِكره والقُرب إليه والأنس به؛ تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها.

فالمرءُ مع مَن أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يُزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، ويجعل رُوح المؤمن مع النَسَم الطيب، أي الأرواح الطيبة المشاكِلة.

فالرُوح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها، فتكون معهم هناك.

ومنها أرواحٌ تكون في تَنور الزناة والزواني.

وأرواحٌ في نهر الدم تسبح فيه وتُلقم الحجارة .

فليس للأرواح -سعيدها وشقيها- مستقرٌ واحد، بل رُوحٌ في أعلى عِليين، ورُوحٌ أرضية سُفلية لا تصعد عن الأرض.

وأنت إذا تأملتَ السُنن والآثار في هذا الباب: عرفتَ حُجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضًا، فإنها كلُها حق، يُصدِّق بعضُها بعضًا، لكن الشأن في فهمها، ومعرفة النفس وأحكامها، وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفِناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيءٍ حركةً وانتقالاً، وصعودًا وهبوطًا.

وأنها تنقسم إلى مُرسَلةٍ ومحبوسةٍ، وعُلويةٍ وسُفلية.

ولها بعد المفارَقة: صحةً ومرضًا، ولذةً ونعيمًا، وألمًا، أعظمَ مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير.

فهنالك الحَبس والألم والعذاب والمرض والحَسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق.

وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولدٍ في بطن أُمِّه، وحالها بعد المفارقَة بحالِه بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار.

فلهذه الأنفس أربعُ دُور، كلُ دارٍ أعظم من التي قبلها:

الدار الأولى: في بطن الأم، وذلك الحَصر والضِيق والغَمّ والظُلُمات الثلاث.

والدار الثانية: هي الدار التي نشأت فيها وأَلِفتها، واكتسبت فيها الخير والشر، وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ، وهي أوسعُ من هذه الدار وأعظم، بل نِسبتها إليه كنِسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دارُ القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها.

والله يُنقّل الرُوح في هذه الدُور طبَقًا بعد طَبَق، حتى يُبلّغها الدار التي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بها سواها، وهي التي خُلقت لها، وهُيئت للعمل الموصل لها إليها.

ولها في كل دارٍ من هذه الدُور حكمٌ وشأنٌ غيرَ شأن الدار الأخرى.

فتبارك الله فاطرَها ومنشئَها، ومُميتها ومُحييها، ومُسعدها ومُشقيها، الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها؛ كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها، وقُواها وأخلاقها.

فمَن عرفها كما ينبغي: شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك كلّه، وله الحمد كلّه، وبيده الخير كلّه، وإليه يرجع الأمر كلّه، وله القوة كلّها، والقدرة كلّها، والعِز كلّه، والحكمة كلّها،

والكمال المطلق من جميع الوجوه.

وعرف بمعرفة نفسه: صِدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاؤوا به هو الحق الذي تشهد به العقول، وتُقِر به الفِطَر، وما خالفه هو الباطل، وبالله التوفيق.

هل تنتفع أرواحُ الموتى بشيء من عمل الأحياء؟

الجواب: أنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرَين مُجمَعٌ عليهما بين أهل السنة:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاءُ المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة والحج.

واختلفوا في العبادة البدنية؛ كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذِكر:

فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف: أنها تصل للميت.

والدليل على انتفاعه بما تسبب إليه في حياته: قوله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»(١)، فاستثناء هذه الثلاث من عملِه يدل على أنها منه، فإنه هو الذي تسبب إليها.

وقال رسول الله ﷺ: «**مَن سَنّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَن عمل بها من بعده، من غير أن يَنقص من أجورهم شيء،**

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

ومَن سَنّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن يَنقص من أوزارهم شيء»(١).

وقد دل على هذا أيضًا: قوله ﷺ: «**لا تُقتل نفسٌ ظُلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفلٌ من دمها؛ لأنه أول مَن سَنّ القتل**»(٢)، فإذا كان هذا في العذاب والعقاب، ففي الفضل والثواب أولى وأحرى.

والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه:

القرآن والسنة والإجماع وقواعد الشرع.

أما القرآن: فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، فأثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين قَبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء:

إجماع الأمة على الدعاء للميت في صلاة الجنازة.

قال رسول الله ﷺ: «**إذا صليتم على الميت فأخلِصوا له الدعاء**»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧).

(٣) رواه أبوداود (٣١٩٩) وصححه الألباني.

وفي صحيح مسلم[1] من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة، فحفظتُ من دعائه وهو يقول: «اللهم اغفر له وارحمه وعافِه واعفُ عنه، وأكرم نُزُلَه، وأوسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرَد، ونقّه من الخطايا كما نقيت الثوبَ الأبيض من الدنَس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلاً خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجنة وأعِذه من عذاب القبر وعذاب النار».

وعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: صَلّى رسول الله ﷺ على رجلٍ من المسلمين، فسمعته يقول: «**اللهم إن فلانَ ابن فلان في ذمتك وحبل جِوارك، فقِهِ من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهلُ الوفاء والحق، فاغفر له وارحمه إنك الغفور الرحيم**»[2].

وهذا كثير في الأحاديث، بل هو المقصود بالصلاة على الميت.

وكذلك الدعاء له بعد الدفن، فقد وردَ من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»[3].

---

(١) برقم (٩٦٣).

(٢) رواه أبوداود (٣٢٠٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه أبوداود (٣٢٢١) وصححه الألباني.

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم؛ كما في صحيح مسلم(١) من حديث بريدة بن الخصيب قال: كان رسول الله ﷺ يُعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**».

ودعاء النبي ﷺ للأموات فعلاً وتعليمًا، ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرًا بعد عصر: أكثر من أن يُذكر، وأشهر من أن يُنكر.

وقد ورد أن الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول: أنّى لي هذا؟ فيُقال: باستغفار ولدك لك(٢).

وأما وصول ثواب الصدقة:

فعن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: «يا رسول الله، إنّ أمي افتلتَت نفسُها ولم تُوصِ، وأظنها لو تكلمتْ تصدقتْ، أفلها أجرٌ إن تصدقتُ عنها؟ قال: «**نعم**»(٣).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنّ سعدَ بن عبادة رضي الله عنه توفيت

---

(١) برقم (٩٧٥).

(٢) رواه ابن ماجة (٣٦٦٠) وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (١٣٨٨) ومسلم (١٠٠٤).

أمُه وهو غائبٌ عنها؛ فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائبٌ عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ عنها؟

قال: «**نعم**»، قال: فإني أُشهِدك أن حائطي المِخراف صدقةً عنها(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يُوصِ، فهل يكفي عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «**نعم**»(٢).

وعن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله، إن أمَّ سعد ماتت، فأيُ الصدقة أفضل؟

قال: «**الماء**»؛ فحفر بئرًا وقال: هذه لأمِّ سعد(٣).

وأما وصول ثواب الصَوم:

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن مات وعليه صيام صام عنه وليُه**»(٤).

وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء

---

(١) رواه البخاري (٢٧٥٦).
(٢) رواه مسلم (١٦٣٠).
(٣) رواه النسائي (٣٦٦٨) وحسّنه الألباني.
(٤) رواه البخاري (١٩٥٢) ومسلم (١١٤٧).

رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**نعم، فدَين الله أحق أن يقضى**» (١).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: بينا أنا جالسٌ عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، فقال: «**وجبَ أجرُك وردَّها عليك الميراث**»، فقالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: «**صومي عنها**»، قالت: إنها لم تحج قطّ، أفأحجُ عنها؟ قال: «**حُجي عنها**»(٢).

وأما وصول ثواب الحج:

ففي صحيح البخاري(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأةً من جُهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إنّ أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**حجي عنها، أرأيتِ لو كان على أمك دَينٌ أكنتِ قاضيَته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالقضاء**».

وقد تقدم حديث بريدة، وفيه: إن أمي لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال ﷺ: «**حجي عنها**».

---

(١) رواه البخاري (١٩٥٣) ومسلم (١١٤٨).
(٢) رواه مسلم (١١٤٩).
(٣) برقم (١٨٥٢).

وعن ابن عباس ﷺ قال: إن امرأة سنان بن سلمة الجهني سألت رسولَ الله أنّ أمَّها ماتت ولم تحج، أفيجزئ أن تحج عنها؟ قال: «نعم، لو كان على أمِّها دَينٌ فقضته عنها ألم يكن يجزئ عنها؟»(١).

وعن ابن عباس ﷺ أنَّ امرأةً سألت النبي ﷺ عن أبيها مات ولم يحج، قال: «**حجي عن أبيك**»(٢).

وأجمع المسلمون على أنّ قضاءَ الدَين يُسقطه من ذمته، ولو كان من أجنبي، أو من غير تَرِكته، وقد دل عليه حديث أبي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال له النبي ﷺ: «**الآن بردتْ عليه جلدتُه**»(٣).

وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حقٌ من الحقوق فأحَلَّه منه أنه ينفعه ويبرأ منه؛ كما يَسقط من ذمة الحي.

فإذا سقط من ذمة الحي بالنص والإجماع مع إمكان أدائه له بنفسه، ولو لم يرضَ به بل ردَّه، فسقوطه من ذمة الميت بالإبراء، حيث لا يتمكن من أدائه، أولى وأحرى.

---

(١) رواه النسائي (٢٦٣٢) وصححه الألباني.
(٢) رواه النسائي (٢٦٣٣) وصححه الألباني.
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٤٥٣٦) وحسّنه الألباني.

وإذا انتفع بالإبراء والإسقاط فكذلك ينتفع بالهِبة والإهداء، ولا فرق بينهما، فإن ثوابَ العمل حقُ المهدي الواهب، فإذا جعله للميت انتقل إليه، كما أن ما على الميت من الحقوق من الدَين وغيره هو محضُ حق الحي، فإذا أبرأه وصل الإبراء إليه، وسقط من ذمته، فكلاهما حقٌ للحي، فأيُ نصٍ أو قياسٍ أو قاعدة من قواعد الشرع يوجب وصولَ أحدهما ويمنع وصولَ الآخر؟!

فهذه النصوص متظاهرة على وصول ثواب الأعمال إلى الميت إذا فعلها الحي عنه، وهذا محضُ القياس، فإن الثواب حقٌ للعامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك، كما لم يُمنع من هِبة ماله في حياته، وإبرائه له من بعد موته.

وقد نبه النبي ﷺ بوصول ثواب الصوم -الذي هو مجرد تركٍ ونيةٍ تقوم بالقلب لا يطلع عليه إلا الله وليس بعمل الجوارح - على وصول ثواب القراءة التي هي عملٌ باللسان، تسمعه الأذن، وتراه العين، بطريق الأولى.

يوضحه: أن الصومَ نيةٌ مَحضةٌ وكفُ النفس عن المُفَطِّرات، وقد أوصل الله ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عملٌ ونية؟ بل لا تفتقر إلى النية، فوصول ثواب الصوم إلى الميت فيه تنبيهٌ على وصول سائر الأعمال.

والعبادات قسمان: مالية وبدنية.

وقد نبّه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية.

ونبّه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية.

وأخبر بوصول ثواب الحج المُركَّب من المالية والبدنية.

فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار.

الإجابة عن شبهات:

أما قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾؛ فيُقال فيها: بأنّ الإنسان بسعيه وحُسن عِشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس؛ فترحموا عليه، وأهدوا له العبادات، وكان ذلك من أثر سَعيه، كما قال ﷺ: «إنّ أطيبَ ما أكل الرجل من كَسبه، وإنّ ولدَه من كَسبه»(١).

ويدل عليه قوله ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: علمٍ يُنتفع به من بعده، وصدقةٍ جارية عليه، أو ولدٍ صالح يدعو له**»(٢).

---

(١) رواه أبوداود (٣٥٢٨) وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

فالعبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله ﷺ قد سعى في انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله؛ كما ينتفع بعملهم في الحياة مع عمله، فإن المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعضٍ في الأعمال التي يشتركون فيها؛ كالصلاة في جماعة، فإنّ كلَّ واحدٍ منهم تُضاعف صلاته إلى سبعة وعشرين ضِعفًا لمشاركة غيره له في الصلاة، فعملُ غيره كان سببًا لزيادة أجره، كما أن عملَه سببٌ لزيادة أجر الآخر.

وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البِر والتقوى.

وقد قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضُه بعضًا** -وشبّك بين أصابعه-»(١)، ومعلومٌ أن هذا بأمور الدين أولى منه بأمور الدنيا .

فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عَقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كلٍّ من المسلمين إلى صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تُحيط مَن وراءهم.

وقد أخبر الله سبحانه عن حملة العَرش ومن حوله أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم، وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين؛ كنوح وإبراهيم ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

---

(١) رواه البخاري (٤٨١) ومسلم (٢٥٨٥).

فالعبد بإيمانه قد تسبب إلى وصول هذا الدعاء إليه، فكأنه من سعيه.

يوضحه: أن الله سبحانه جعل الإيمان سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ لعمرو بن العاص: «**إن أباك لو كان أقرَّ بالتوحيد نفعه ذلك**»(١)؛ يعنى العِتق الذي فُعِل عنه بعد موته، فلو أتى بالسبب لكان قد سعى في عملٍ يوصل إليه ثواب العِتق.

والقرآن لم ينفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفي ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق مالا يخفى، فأخبر تعالى أن المرءَ لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملكٌ لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه لم يقل: لا ينتفع إلا بما سعى.

وأما قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ فهما في نفي عقوبة العبد بعملِ غيره، وأخذه بجَريرته، فإن الله سبحانه قال:

---

(١) رواه أبوداود (٢٨٨٣) وحسنه الألباني.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، فنفى أن يُظلم، بأن يُزاد عليه في سيئاته، أو يُنقص من حسناته، أو يُعاقب بعمل غيره، ولم ينفِ أن ينتفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء، فإن انتفاعه بما يُهدى إليه ليس جزاءً على عمله، وإنما هو صدقةٌ تصدق الله بها عليه، وتفضل بها عليه، من غير سعيٍ منه، بل وهبه ذلك على يد بعض عباده، لا على وجه الجزاء.

وأما قوله ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله..**»، فإنه لم يقل: انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره فهو لعامله، فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو.

فالمُنقطِع شيء، والواصِل إليه شيءٌ آخر.

وكذلك الحديث الآخر؛ وهو قوله ﷺ: «**إنّ ممّا يلحق الميت من حسناته وعمله..**»[1]، لا ينفي أن يَلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته.

وأما القول بأن الإهداء حَوَالة[2]، والحَوالة إنما تكون بحقٍّ لازم.

---

(١) صحيح الجامع؛ للألباني (٢٢٣١).

(٢) الحَوالة: نقل الدَين من ذِمة المَدين إلى ذِمة المُحال عليه.

فهذه حَوالة المخلوق على المخلوق، وأما حوالة المخلوق على الخالق فأمر آخر لا يصح قياسها على حَوالة العبيد بعضهم على بعض.

ويُبطل هذا: إجماعٌ الأمة على انتفاع المسلم بأداء دَينه وما عليه من الحقوق، وإبراء المستحق لذمته، والصدقة والحج عنه.

وأما القول بأن الإيثار بسبب الثواب مكروه، وهو ما يُسمى مسألة الإيثار بالقُرَب، فكيف الإيثار بنفس الثواب الذي هو الغاية؟!

فالجواب الأول: أن حالَ الحياة حالٌ لا يوثق فيها بسلامة العاقبة؛ لجواز أن يرتد الحي، فيكون قد آثر بالقُربة غير أهلها، وهذا قد أُمِن بالموت.

والجواب الثاني: أن الإيثار بالقُرَب يدل على قلة الرغبة فيها، والتأخر عن فعلها، فلو ساغ الإيثار بها لأفضى إلى التقاعد والتكاسل والتأخر ، بخلاف إهداء ثوابها، فإنّ العاملَ يحرص عليها لأجل ثوابها لينتفع به أو ينفع به أخاه المسلم، فبينهما فرق.

والجواب الثالث: أن الله سبحانه وتعالى يُحب المبادرة و المسارعة إلى خدمته والتنافس فيها، فإنَّ ذلك أبلغ في العبودية، فإنَّ الملوكَ

تُحب المسارعة والمنافسة في طاعتها وخدمتها.

فالإيثار بذلك منافٍ لمقصود العبودية، فإنَّ الله سبحانه أمرَ عبدَه بهذه القُربة، إما إيجابًا وإما استحبابًا، فإذا آثر بها ترك ما أمره وولاه غيره.

بخلاف ما إذا فعل ما أُمِر به طاعةً وقُربة، ثم أرسل ثوابه إلى أخيه المسلم.

وقد قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وقال: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾، ومعلومٌ أن الإيثار بها ينافي الاستباق إليها والمسارعة.

وقد كان الصحابة ﷺ يسابق بعضهم بعضًا بالقُرَب، ولا يؤثر الرجل منهم غيره بها.

قال عمر رضي الله عنه: «والله ما سابقني أبو بكر إلى خير إلا سبقني إليه»، حتى قال: « والله لا أسابقك إلى خير أبدًا».

وقد قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

يُقال: نافستُ في الشيء منافسةً ونِفاسًا إذا رغبتُ فيه على وجه المباراة.

ومن هذا قولهم: «شيءٌ نفيس»؛ أي هو أهلٌ أن يُتنافس فيه، ويُرغب فيه، ويقال: «وهذا أنفس مالي»؛ أي أحبه إلي.

وهذا كله ضد الإيثار به والرغبة عنه.

وأما القول بأنه لو ساغ الإهداء إلى الميت لساغ إلى الحي؛ فجوابه من وجهين:

انتفاع الحي بدعاء غيره له، واستغفاره له، وتصدقه عنه، وقضاء ديونه، وقد أذن النبي ﷺ في أداء فريضة الحج عن الحي العاجز.

وأن الفرق بين الحي والميت: أن الحيَّ ليس بمحتاجٍ كحاجة الميت؛ إذ يُمكنه أن يُباشر ذلك العمل أو نظيره، فعليه اكتساب الثواب بنفسه وسعيه، بخلاف الميت.

وأيضًا: فإنه يُفضي إلى اتكال بعض الأحياء على بعض، وهذه مفسدة كبيرة، فإن أرباب الأموال إذا فهموا ذلك واستشعروه: استأجروا من يفعل ذلك عنهم، فتصير الطاعات معاوَضات، وذلك يُفضي إلى إسقاط العبادات والنوافل، ويصير ما يُتقرب به إلى الله يُتقرب به إلى الآدميين، فيخرج عن الإخلاص، فلا يحصل الثواب لواحدٍ منهما.

ونحن نمنع من أخذ الأجرة على كل قُربة، ونُحبط بأخذ الأجر

عليها؛ كالقضاء والفتيا وتعليم العلم والصلاة وقراءة القرآن وغيرها، فلا يثيب الله عليها إلا لمُخلصٍ أخلص العمل لوجهه، فإذا فعله للأُجرة لم يُثب عليه الفاعل ولا المستأجر .

فلا يليق بمحاسن الشرع أن تُجعل العبادات الخالصة له معاملاتٍ تُقصد بها المعاوضات والأكساب الدنيوية.

وفارَقَ قضاءَ الديون وضمانها، فإنها حقوقُ الآدميين ينوب بعضهم فيها عن بعض، فلذلك جازت في الحياة وبعد الموت.

والشرع لا يمنع المسلمَ أن ينفع أخاه بشيءٍ من عمله، بل هذا من تمام إحسان الرب ورحمته لعباده، ومن كمال هذه الشريعة التي شرعها لهم، التي مبناها على العدل والإحسان والتعارف.

والرب تعالى أقام ملائكته وحملة عرشه يدعون لعباده المؤمنين ويستغفرون لهم، ويسألونه لهم أن يقيَهم السيئات، وأمر خاتم رسله ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ويقيمة يوم القيامة مقامًا محمودًا ليشفع في العُصاة من أتباعه وأهل سنته.

وقد أمره تعالى أن يصلي على أصحابه في حياتهم وبعد مماتهم، وكان ﷺ يقوم على قبورهم فيدعو لهم.

وأسقط سبحانه الارتهان وحرارة الجلود في القبر بضمان الحي دَين الميت وأدائه عنه، وأذِن النبي ﷺ في الحج والصيام عن الميت.

وأسقط عن المأموم سجود السهو بصحة صلاة الإمام وخلوها من السهو، وقراءة الفاتحة بتحمل الإمام لها، فهو يتحمل عن المأموم سهوه وقراءته.

وهل الإحسان إلى المكلَّف بإهداء الثواب إليه إلا تأسٍ بإحسان الرب تعالى؟

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾.

والخلق عِباد الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعباده، وإذا كان سبحانه يُحب من ينفع عبادَه بشَربة ماء ومَذقة لبَن، وكِسرة خبز، فكيف بمَن ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع أعمالهم، وحاجتهم إلى شيءٍ يُهدى إليهم أحوج ما كانوا اليه؟

فأحب الخلق إلى الله من ينفعهم في هذه الحال.

فإن قيل: فهل يُشترط في وصول الثواب أن يُهديَه بلفظه أم يكفي في وصوله مجرد نيه العامل أن يُهديه إلى الغير؟

قيل: السُنة لم تشترط التلفظ بالإهداء، بل أُطلِق الفعل عن

الغير؛ كالصوم والحج والصدقة، ولم يُقل لفاعل ذلك قل: اللهم هذا عن فلان ابن فلان.

والله سبحانه يعلم نية العبد وقصده بعمله.

فلو بنى مكانًا بنية أن يجعله مسجدًا أو مدرسةً أو ساقيةً ونحو ذلك، صار وقفًا بفِعله مع النية، ولم يَحتج إلى تلفظ.

وكذلك لو أعطى الفقير مالاً بنية الزكاة، سقطت عنه الزكاة، وإن لم يتلفظ بها.

وكذلك لو أدّى عن غيره دَينًا، حيًا كان أو ميتًا؛ سقط من ذِمته، وإن لم يقل هذا عن فلان.

فإن قيل: فهل يتعين عليه تعليق الإهداء، بأن يقول: اللهم إن كنتَ قَبِلتَ هذا العمل وأثبتني عليه فاجعل ثوابَه لفلان أم لا؟

قيل: لا يتعين ذلك لفظًا ولا قصدًا، بل لا فائدة في هذا الشرط، فإنّ الله سبحانه إنما يفعل هذا سواءً شرَطه أو لم يَشرطه.

وأما قوله: اللهم إن كنتَ أثبتني على هذا فاجعل ثوابه لفلان، فهو بناءً على أن الثواب يقع للعامل ثم ينتقل منه إلى من أهدى له، وليس الأمر كذلك، بل إذا نوى حال الفعل أنه عن فلان: وقع

الثواب أولاً عن المعمول له.

فإن قيل: فما الأفضل أن يُهدى إلى الميت؟

قيل: الأفضل: ما كان أنفع في نفسه، فالعِتق عنه والصدقة أفضل من الصيام عنه، وأفضل الصدقة ما صادفت حاجةً من المُتصدَّق عليه، وكانت دائمةً مستمرة.

ومنه قول النبي ﷺ: «أفضل الصدقة سقي الماء»[1]، وهذا في موضعٍ يَقلُّ فيه الماء ويكثر فيه العطَش، وإلا فسقيُ الماء على الأنهار لا يكون أفضلَ من إطعام الطعام عند الحاجة.

وكذلك: الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدقٍ من الداعي، وإخلاصٍ، وتضرع، فهو في موضعه أفضل من الصدقة عنه؛ كالصلاة على الجنازة والوقوف للدعاء على قبره.

وبالجملة: فأفضل ما يُهدى إلى الميت: العِتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعًا بغير أُجرَة؛ فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

---

(١) رواه أبوداود (١٦٧٩) وحسّنه الألباني.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفًا في السلف، ولا يمكن نقله عن واحدٍ منهم، مع شدة حرصهم على الخير، ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ، وقد أرشدهم إلى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه، ولكانوا يفعلونه.

فالجواب: أن مُورِد هذا السؤال إن كان معترفًا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار، قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟

وهل هذا إلا تفريقٌ بين المتماثلات؟

وان لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت؛ فهو محجوج بالكتاب والسنة والإجماع وقواعد الشرع !

فإن قيل: فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحج دون القراءة.

قيل: هو لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرجَ الجواب لهم، فهذا سأله عن الحج عن مَيّتِه فأذِن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذِن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذِن له، ولم يمنعهم مما سوى ذلك.

وأيُ فرقٍ بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرد نية وإمساك،

وبين وصول ثواب القراءة والذِكر؟

وسر المسألة: أن الثوابَ ملكُ العامل، فإذا تبرع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القرآن، وحجر على العبد أن يُوصله إلى أخيه؟

فإن قيل: فما تقولون في الإهداء إلى رسول الله ﷺ؟

قيل: من الفقهاء المتأخرين من استحبه، ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة، فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يفعلونه.

ولأن النبي ﷺ له أجرُ كلِّ مَن عمل خيرًا من أمته من غير أن يَنقص من أجر العامل شيء؛ لأنه هو الذي دَلّ أمَّته على كل خير، وأرشدهم ودعاهم إليه، ومَن دعا إلى هُدى فله من الأجر مثلُ أجور مَن تبعه من غير أن يَنقص من أجورهم شيء، وكلُ هدىً وعلمٍ فإنما نالته أمتُه على يده ﷺ، فله مثلُ أجرِ مَن اتبعه، سواءً أهداه إليه أو لم يُهده، والله أعلم[1].

---

(١) وينظر للمزيد: « فصل في انتفاع الإنسان بعمل غيره » في « جامع المسائل »؛ لابن تيمية، « (٥ / ٢٠١ - ٢٠٦).

الفهرس

مقدمة ٥

الرُوح مخلوقة ١٠

هل الرُوح تموت؟ أو أن الموت للبدن فقط؟ ١٢

خلق الأرواح متأخرٌ عن خلق الأجساد ١٤

هل النفس والرُوح شيء واحد؟..... ١٥

هل النفس واحدة أو ثلاث؟!..... ١٦

هل تُعاد الرُوح إلى الميت في قبره وقت السؤال؟..... ٢٤

هل عذاب القبر على النفس والبدن، أو على النفس دون البدن، أو على البدن دون النفس؟..... ٢٨

هل ذُكِر عذاب القبر في القرآن؟ ٣٥

ما هي الأسباب التي يُعذَّب بها أصحابُ القبور؟ ٤٠

ماهي الأسباب المُنجِية من عذاب القبر؟..... ٤٦

هل السؤال في القبر عامٌ في حق المسلمين والمنافقين والكفار؟.... ٤٩

هل سؤال مُنكَر ونَكير مختصٌ بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟.. ٥٢

هل يُسأل الأطفال في قبورهم؟..... ٥٥

هل عذابُ القبر دائمٌ أو منقطع؟ ٥٨

أين مُستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ ٦١

هل تنتفع أرواحُ الموتى بشيء من عمل الأحياء؟ ٨٥

الإجابة عن شبهات:.....٩٣

أما قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾.....٩٣

وأما قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾..... ٩٥

وأما قوله ﷺ: «**إذا مات العبد انقطع عمله..**».....٩٦

وأما القول بأن الإهداء حَوَالة..... ٩٦

وأما القول بأن الإيثار بسبب الثواب مكروه.....٩٧

وأما القول بأنه لو ساغ الإهداء إلى الميت لساغ إلى الحي.....٩٩

هل يُشترط في وصول الثواب أن يُهديَه بلفظه.....١٠١

هل يتعين عليه تعليق الإهداء على قَبول الله.....١٠٢

ما الأفضل أن يُهدى إلى الميت؟.....١٠٣

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعًا بغير أُجْرَة؛ فهذا يصل إليه.....١٠٣

حُكم إهداء الطاعات إلى رسول الله ﷺ.....١٠٥

الفهرس.....١٠٦